**المحاضرة الثالثة**

**الـمـستـشـرقـــون و لـغــة الـقـــــرآن**

**شبهات حول لغة القرآن والرد عليها :**

يقول "رِيجِس بلاشير " R. Blachère :

" إنّ السور المنزلة الأولى التي افتتحت دعوة ﳏمد ، تشتمل على الأصل اللغوي لاسم " القرآن " الذي كتب بصورة خاطئة حتى القرن الثاني عشر إنه Alcoran - Alkoran - elkora ، ولكن لا نخالف التقاليد السّائدة في فرنسا و سوف نتبنى هذا الهجاء " قرآن" ، حيث إنه في بعض المقاطع القرآنية وردت كلمة [[1]](#footnote-1)" قرآن" بمعنى التلاوة ، ويمكن أن تكون هذه الكلمة مأخوذة عن اللغة السّريانية ، التي فيها لفظ مشابه جدّاً لهذا المعنى ، أمّا بالنسبة لمحمد و أبناء جيله ، فإنّ كلمة قرآن فضلاً عن كونها مزودة بجرس موسيقي ، تعبر أساسًا عن فكرة التبليغ بالقول ، و التبشير الديني و الرسالة التي أخذت عن ملاك ، وفي وقت قريب من نهاية دعوة محمد فقط ، عندما ابتدأ الكلام المنزل يثبت بالكتابة و التدوين ، أمكن للكلمة "قرآن" أن تأخذ المعنى العام للكتاب المقدس ، وفقًا للمفهوم الذي نعرفه نحن ، و حيث إنّ هذه الكلمة يعبر عنها أحيانًا بلفظ كتاب ، الذي يعني "نص مكتوب " فقد أعطى هذا المعنى الأخير لكلمة " قرآن" le coran , « que sois –je ? » p15 - 16

المستشرق الفرنسي بلاشير R. BLachère عرّف كلمة " قرآن " بما يخالف ما تعارف عليه من سبقه من علماء الإسلام ، كأصحاب المعاجم أو من ألفوا في علوم القرآن و التفسير ، فقد نهج طريقة مبتدعة أراد من خلالها ترويج ما لا علاقة له بكلمة " قرآن ".

1. ادّعى أن المعنى اللّغوي لكلمة " قرآن " حدّدته بعض المقاطع القرآنية التي وردت في السّور الأولى التي نزلت على النبي صلى اللّه عليه وسلّم دون أن يعيّن تلك الآيات أو السور
2. قوله إن كلمة "قرآن " مأخوذة عن اللغة السريانية
3. بلاشير علّق مسألة تدوين القرآن وكتابته على مسألة أخرى تتعلّق بتسمية القرآن بالكتاب

***الردّ :***

**الرأي الأول :** ربما قصد بتلك المقاطع ســورة العلق التي جاء فيها قوله ﴿ اقرأ باسم ربّك...﴾ ومعناها اقرأ

القرآن كما ذكره المفسرون كالفخر و القرطبي .

* فذلك يوافق ما ذهب إليه بلاشير وغيره من أن فعل " قرأ " ،"تلا" بمعنى واحد في اللغة العربية .
* يقول أبو البقاء : " قال بعض الفضلاء : القرآن في الأصل مصدر قرأت الشيء قرآنًا " بمعنى جمعته، أو قرأت الكتاب قراءةً أو قرآنًا بمعنى تلوته . ثم نقله العرف إلى المجموع المخصوص و المتلو المخصوص : وهو كتاب الله المنزل على محمد . و نقله أهل الأصول إلى القدر المشترك بين الكل و الجزء ..." [الكليات، مادة القرآن ] إلاّ أن الذي اختلقه بلاشــير و لم يسبق إليه هو ربطه هذه القراءة برفع الصوت و هو ما لم يأت عليه بدليل يؤيده و يرجحه .

**الرأي الـثـانـي:** جلُ علماء الغرب يتبنون فكرة "شوالي" فيما يتعلق بلفظة " القرآن " على أنّها مأخوذة عن السريانبة

* ادعاء أنّ كلمة " قرآن" سريانية وهو " قريانة " أي القراءة حيث كانت تستعمل في الكنية السريانية
* ولو رجعنا إلى مادة القاف و الراء و الحرف المعتل كما يقول ابن فارس : أصل يدل على الجمع ومنه القرية لتجمع الناس فيها و القرو هو حوض ترِده الإبل يتجمع الماء فيه و القرء هو تجمّع الدم يقال أقرأت المرأة ، إذا تجمع دمها في جوفها فلم ترخه ، وفي الشعر : ' هجان اللون لم تقرأ جنينا ' ، أي لم تضم في رحمها ولدًا قط .

ويقال للتي لم تحمل " ماقرأت سلى قط " وفيه القرآن ، لأنه يحمل ويجمع.

* ومثلها مادة "قرب" فإنه ضد البعد وفيه معنى الاجتماع ، وقرت وهو تجمع الدم و"القرء" يدل على تجمع وتقطع والقَرَد ما تمعط من الصوف وتلبد بعضه على بعض ومن القرز وهو قبضك على التراب وغيره بأطراف الأصابع ففيه معنى الجمع .
* "القرش" الجمع و الكسب والضم يقال تقرش القوم إذا تجمعوا ومنه القرص وهو الغمز والقبض بالأصابع والمعنى فيها واضح .

فبلاشير الذي يفترض ذلك دون تأكيده لقوله : " يمكن أن تكون هذه الكلمة مأخوذة من السريانية "

كما ادعى أن غيرها من الكلمات العربية إنمّا هي ذات أصل سرياني أو عبراني مثل : كتب ، سفر، نصب ................"

يمكن القول إنه لا يوجد إشكال في أخد الكلمة من السريانية ، أو في وجود تشابه بين الكلمات العربية و غيرها من اللغات ،خاصة إذا كانت معدودة من اللغات السامية ، الإشكال هو التأكيد على أن العربية هي التي أخذت لا العكس ، و نحن نعلم من خلال كلام أهل التخصص في فقه اللغة و اللسانيات ، أن العربية هي أقوى اللغات السامية . وهو ما سيـتـبـيـن من خلال المخطط الآتي ،و من خلال كلام بعض هؤلاء المتخصصين من غير المسلمين .

اللغات السامية

الشرقية الغربية

الأكادية

البابلية الأشورية الغربية الشمالية الغربية ا

الآرامية الكنعانية العربية الأثيوبية

سريانية آرامية أولى النبطية

آشورية معاصرة فينيقية أوغاريتية عبرية

العربية الشمالية العربية الجنوبية

البائدة الفصحى سبئية معينيه حميرية

ثمودية لحيانية حجازية (3)

إذن تنحدر اللغة العربية من فرع اللغات السامية الغربية ، وكذلك الآرامية و كذلك من الطبيعي أن نجد تشابهًا و تقاربًا بين ألفاظ هاتين اللغتين و سائر اللغات الأخرى العبرية و البابلية ، ما بقى منها وما اندثر.

يقول : مطران دمشق "اقليمس يوسف داود" في كتابه ذي الجزأين " اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية " : ' ثم اعلم أن اللغة السريانية هي احدى اللغات المعروفة بالسامية التي يتكلم بنو سام بنو نوح ، و أشهر اللغات السامية هي العربية و العبرية و السريانية و الحبشية بفروعهن الكثيرة . وإنما ذكرنا العربية أولاً بين اللغات السامية لأن العربية باعتراف جميع المحققين هي أشرف اللغات السامية من حيث هي لغة و أقدمهن و أغناهن ، ومعرفتها لازمة لكل من يريد أن يتقن حسنا معرفة سائر اللغات السامية ولا سيما السريانية " . ص 10 ج الأول .

ويقول إميل يعقوت : " و كما اختلف الباحثون في تعيين المهد الأول للأمم السامية ، كذلك اختلفوا في تعيين اللغة السامية الأولى ، فمنهم من ذهب إلى أن اللغة العبرية هي اللغة السامية الأم ، بل هي أقدم لغة في العالم ، ومنهم من زعم أن الأشورية البابلية هي اللغة السامية الأولى ، وفريق ثالث رأى أن اللغة العربية هي أقرب لغات الساميين إلى اللغة السامية القديمة " ثم يواصل كلامه ليقول " والواقع أن لهذه النظرية ما يسوغها ، بل إنها أصبحت عند الباحثين أرجح النظريات جميعًا لأنها احتفظت بعناصر قديمة ترجع إلى السامية الأم أكثر مما احتفظت به الساميات الأخرى ففيها من الأصوات ما ليس في غيرها من اللغات السامية ، و فيها صيغ كثيرة لجموع التكسير ، وغير ذلك من ظواهر لغوية ، يؤكد لنا الدارسون أنها كانت سائدة في السامية الأولى التي انحدرت منها كل اللغات السامية المعروفة لنا الآن " [ فقه اللغة و خصائصها ص 110 – 113 ]

كما يمكن القول إن كلمة " قرآن " وإن لم ترد في كلمة العرب ، كما إنهم لم يستعملوا كلمة "قرأ "إلا بمعنى جَمَعَ لا بمعنى تلا كالذي جاء به القرآن الكريم ،والصواب ما قاله الباحث الدكتور أحمد نصري بعد مناقشته لكلام بلاشـيـر : " لا نستبعد أن تكون كلمة " قرآن" قد اشتقت من "قراءة "العربية الأصل ، و الدليل على ذلك أن كثيرا من آي القرآن تزدوج فيها كلمة القرآن و القراءة كقوله تعالى : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ وقوله ﴿ وقرءانا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ﴾ وقوله ﴿ وإذا قرئ القرءان فاستمعوا له و أنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ إذًا فإن كلمة القرآن مشتقة من القراءة " ص 132 [ آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم . دراسة نقدية ]

**الـرأي الـثـّالـث *:*** وأخطأ حين خلط في أمر مصطلح "الكتاب المقدس" وادعى أنه من صنع الصحابة حين أخذوا في كتابة الوحي ، و الأمر ليس كذلك لأن مصطلح "كتاب" مستعمل في القرآن الكريم كثيرًا ،وفي مواضع مختلفة وهو واحد من أسماء القرآن ، والفرقان والذكر ،وسائر الأوصاف التي وصف بها تعظيمًا لشأنه .

قول عبد الله دراز: " روعي في تسميته قرآنا لكونه متلوا بالألسن ، كما روعي في تسميته كتابًا كونه مدونًا بالأقلام ، فكلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه " النبأ العظيم ص 12

و صدق عبد العال سالم مكرم حين قال : " هل يعقل أن هذه اللغة التي تفرعت لهجاتها ، وتعددت صيغها و كثرت ألفاظها ، وازدهرت كلماتها أن تنزل – وهي الغنية بما لديها – الكلمات أو الألفاظ من اللغات الأخرى ... " ص45 . [**قضايا قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية]**

1. ربما يقصد ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ ، و ربما يقصد به ﴿ لا تحرّك به لسانك لتعجل به (6) إنّ علينا جمعه و قرآنه (7) فإذا قرأناه فاتبع قرءانه (8) ثم إنّ علينا بيانه ...﴾ القيامة [↑](#footnote-ref-1)